عملها الاول عن تحطم احلام الشباب بعد التخرج من الجامعة

يم مشهدي: ليس هناك شخصيات سيئة بطبعها لكن الواقع «ابن حرام»!

دمشق ـ «القدس العربي» ـ من أنور بدر

بدأت عجلة الدراما السورية تدور بوتيرة عالية استعداداً للموسم الرمضاني القادم، مؤكدة تطورها النوعي والكمي، وهي تشهد ضخ دماء شابة وجديدة في طاحونتها المزدهية خارج كل القطاعات الإنتاجية الأخرى.

ومن بين الاعمال التي يجري الترويج لها مبكراً مسلسل «ما شاء الهوى»، كأول انتاج لشركة «راية» من بين خمس شركات دخلت مجدداً في هذا الإطار. معتمدة على نص هو الأول للكاتبة والزميلة الصحافية يم مشهدي، وهو الأول أيضاً للفنان زهير قنوع في مجال الاخراج، الأمر الذي حول العمل إلى ما يشبه المغامرة وهو الأمر ذاته الذي دفعنا في «القدس العربي» للتقصي عن عوامل النجاح المشجعة.

الكاتبة يم مشهدي (القدس العربي)

لقطة من مسلسل «ما شاء الهوى» (القدس العربي)

■ كانت البداية مع يم مشهدي ودوافع انتقالها من الصحافة المكتوبة الى الدراما التلفزيونية، فأجابت:

■ **أنا بالأساس خريجة المعهد العالي للفنون المسرحية ـ قسم النقد المسرحي ـ وكان مشروع تخرجي هو نص مسرحي بعنوان «باريس في الظل» كما سبق وكتبت سيناريو فيلم قصير، ولديّ الآن سيناريو آخر في المؤسسة العامة للسينما.**

وأنا اعتبر أن الصحافة المكتوبة وكل الفنون الأخرى بما فيها الكتابة الدرامية، تتقاطع مع بعضها بوجود حوار بينك وبين الآخر، وبوجود طرف ثان متلق، وهذا المتلقي يمكن له أن يقرأ الصحيفة، أو أن يجلس لمتابعة مسلسل تلفزيوني، وأنت في الحالتين تبحث عن لغة للتواصل مع هذا المتلقي وللحوار معه. والنص الدرامي في النهاية هو نص أدبي، كما اعتقد.

■ بعد تلك التجارب المتنوعة، لماذا اخترت الدراما التلفزيونية؟

■ **لا شك أن من يقرأون الجرائد في بلدنا هم أقل بكثير ممن يتابعون التلفزيون، وما دام الهدف هو التواصل مع أوسع الشرائح الممكنة، فإن التلفزيون يشكل بهذا المعنى إغراءً حقيقياً. بينما في الصحافة قد لا تجد من يتابع جهدك وأفكارك.**

■ ما هي الأفكار التي أرادت يم طرحها في هذا العمل؟

■ **أردت في هذا العمل الحديث عن جيل الشباب في مجتمعنا، وقد اخترت سنة مفصلية وحرجة في حياة هذا الجيل، هي السنة الأخيرة لخمسة طلاب جامعة في كلية الحقوق قبيل تخرجهم.**

في البداية يكون هاجس الطالب الجامعي هو انهاء سنوات الدراسة والتخرج من الجامعة، لكن السؤال في السنة الأخيرة يكون: ماذا بعد التخرج؟

وبين الطموحات الكبيرة لهؤلاء الطلاب وبين فرص العمل المحدودة والنادرة في بلدنا، يكتشف الطالب لحظة عجزه. بعض هؤلاء الطلاب دخل كلية الحقوق لأن معدله في الثانوية العامة لم يؤهله لغير ذلك، والبعض كان يحلم بأن يصبح قاضياً، والبعض الآخر كان مأخوذاً بصورة المحامي الذي يقف أمام هيئة القضاة والمحلفين في الأفلام الأمريكية، لكنهم جميعاً تتحطم أحلامهم على عتبة الواقع، احدى الطالبات في سنة التخرج تصبح مندوبة مبيعات، وشخص ثان يلتحق ببرنامج سوبر ستار على أمل أن يصبح نجم غناء، وثالث يُدمن على الحشيش، قد يبدو الأمر مستغرباً ولكن إذا نظرت في جامعاتنا قد تكتشف أن الحشيش وارد، وهذه الكلمة أصبحت مطروقة. وليست المعادلة بالنسبة لهم جميعاً أكثر من البحث عن سبل للعيش.

نماذج متباينة من الشخصيات، يعانون الفقر ويسكنون في المدينة الجامعية، التي يفضل أحدهم أن يهرب منها ليناام في دور السينما لأنه يرفض حالة «القاووش» يطالب فقط أن يكونوا أربعة طلاب في الغرفة الواحدة وليس ستة أسرة موضوعة في طابقين ضمن كل غرفة، وأحياناً أكثر. هذا الشاب نفسه يتمتع بصوت جميل واحساس بالفشل مما يدفعه للالتحاق ببرنامج سوبر ستار، حيث يجتاز مرحله الأولى، وفجأة يظهر من ينتشله من حالته لصالح معادلة انتاجية أخرى.

كذلك نتعرف في هذا المسلسل على صحافي ملّ مهنته التي يحس أنها (خُلبية) إلى حد ما، لذلك يحترف التصوير، وعنده علاقات مع نسوة ثريات يصرفن عليه، ويعيش بهذه الطريقة بعيداً عن أحلام الصحافة وطموحات فن التصوير التي تتآكل مع الأيام.

أردت في هذا العمل الحديث عن الشباب في عمر 21 سنة أو فترة التخرج، عن المشكلات التي بدأت تتسرب إلى حياتنا ببطء، لكنها تؤثر في حياة هذا الجيل، جيل 2006، الذي فقد أي اهتمام بالسياسة أو بالشأن العام، أو أنه أبعد عنهما، وهذا ما يجره إلى الفشل على كل الصُعد، حتى في الحب... إذ نصادف فتاة لها علاقة مع شاب من الجامعة، وهو يحبها ولا يتسلى بعلاقته معها، لكن المشكلة أنه فعلاً لا يستطيع الإقدام على خطوة الزواج منها.

كل الشخصيات في هذا المسلسل لها أزماتها، واشكالاتها، غير أن ما أردت التأكيد عليه أنه لا يوجد شخص سيىء، هنالك شخص تضطره ظروفه للسوء، لأن الواقع أبن حرام، ولا شخصية في هذا العمل تمتلك نوازع شريرة على الاطلاق، فهم حتى في أخطائهم يشبهوننا كثيراً، إذ نتساءل في بعض اللحظات: لماذا تصرفت هكذا؟ فنجيب ببساطة: لأننا نريد أن نعيش.

■ باعتبارها التجربة الأولى لك درامياً. كيف كانت علاقتك مع المخرج زهير قنوع؟

■ **علاقتي بالمخرج كانت متميزة، واعتقد أنها حالة نادرة بالدراما السورية، خاصة وأن لي تجربة غير ناجحة في فيلم قصير سابق كتبته، إذ أصبح في النهاية لا يشبه ما كتبته، بل هو لا يشبه أي شيء، من هنا كان لدي توجس كبير في البداية، ونصحني كثير من الزملاء بأن كتابة السيناريو مهنة حزينة، فليس بالضرورة أن نشاهد ما كتبناه بعد التصوير، وبالتالي إما أن تقبل هذه المهنة بشروطها أو أن ترفضها.**

إلا أن تجربتي مع المخرج زهير قنوع تميزت منذ البداية بتعاون جميل، كنا نناقش النص أول بأول، وقد استفدت من الملاحظات المهمة الكثيرة التي قدمها لي، ورفضت الملاحظات التي لم تقنعني، لكنني لم أتعامل قط بعقلية أن هذه الفكرة لي ولا أسمح لأحد بالاقتراب منها، بل كان كل شيء مفتوحاً للحوار بيننا، كنا نعمل بعقلية أثنين يريدان خدمة العمل، وإنجاحه.

■ اعتقد أنك ـ كأي كاتب ـ لو أعدت كتابة العمل فسوف تعدلين فيه أشياء كثيرة؟

■ **نعم أكيداً كنت سأعدل فيه، لكن الممتع في العلاقة مع زهير أن ثمة تعديلات لم تكن واردة في خاطري، وهذا برأيي أغنى العمل كثيراً، وقد أحببت هذه الآلية، واعتقد أنها ما تزال نادرة في تجارب الدراما السورية، التي تفتقد لعقلية الفريق المتكامل في العمل.**

■ بالنسبة لاختيار الممثلين هل كان لديك تصور مسبق للأدوار أثناء كتابة السيناريو؟

■ **عندما كتبت النص لم تكن لديّ أية تصورات عن الممثلين، واعتقد أن هذا منحني هامشاً أوسع في رسم الشخصيات، فمن المستحيل بالنسبة لي بناء أي كركتر على تصور مسبق لممثل ما، فأنا اعتقد أنه يوجد ممثل لهذا الدور أو لا يوجد.**

وحتى عندما سألني المخرج عن اختيار الممثلين، كنت لا أرغب بالتدخل في هذه الصيغة.

■ لنعود أخيراً إلى مسألة الرقابة وحرية الكاتب في طرح اسئلته؟

■ **كان زهير يشجعني على تجاوز مسألة الرقابة المسبقة، وتشكلت قناعتنا بأنه علينا تجاوز الخطوط الحمر، علينا صنع ما نعتقد أنه صحّ وإذا أرادت الرقابة اقتطاع بعض المشاهد لاحقاً فليكن، لأنه من واجبنا كشباب نعمل في الدراما أن نرفع الخط الأحمر باستمرار، دون أن ننسى أن هذا الخط ليس محصوراً في سورية فقط، بل هو موجود في كل البلاد العربية.**

في هذا المسلسل هناك هامش للحرية الاجتماعية وحتى السياسية، حاولت أن استغله. مثلاً العلاقة غير الشرعية بين رجل وفتاة، لم أتطرق لها قط من منظور سلبي، أي أنني لم أقدم الأنثى بصفتها فتاة مغرر بها، ولم أقدم هذه الحالة بهدف الإدانة. بل كانت الفتاة شفافة جداً وراقية، وحاولت توجيه الإدانة للمجتمع الذي أوصلها لهذا المستوى، لأن هذه الحالات موجودة في مجتمعنا، وقد اشتغلت عليها بقدر من الحرية، وخارج تصورات الرقابة المسبقة.

انسحبت علا غانم فاختلف المخرج مع المنتج ودنيا بالغت في أجرها وأزمة بين أميرة فتحي ومصمم ملابس الفيلم

المشاكل تحاصر فيلم «الفرقة 16 اجرام»!

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمد عاطف:

منذ اليوم الاول لتصوير الفيلم السينمائي «الفرقة 16 اجرام» والمشاكل تحيط به من كل جانب وهو ما جعل ابطاله في دهشة من ا مرهم.

اول مشكلة جاءت مع ترشيح علا غانم لبطولة الفيلم التي حالت ارتباطاتها دون البدء في تصويره، وقام منتج الفيلم بترشيح الفنانة الصاعدة ميسرة بدلا من علا، لكن المخرج حامد سعيد اعترض عليها حيث يرى ان طبيعة الشخصية لا تتناسب مع شكل واسلوب ميسرة، وطلب ترشيح الممثلة دنيا للدور.

وعندما جلس المنتج مع دنيا طلبت أجرا لها مقداره تسعون الف جنيه، بينما هو عرض عليها خمسين الفا فقط، فرفضت. وبعد مباحثات عديدة تم ترشيح الفنانة زينة التي وافقت على البطولة مع بعض الشروط الخاصة بالدعاية ان يتصدر اسمها الافيشات وكذلك صورتها حتى لا يتكرر معها ما حدث في فيلمها الاخير «90 دقيقة» ووافق المنتج وقامت زينة بتصوير العمل مع اسناد دور آخر الى ميسرة.

وصاحب ذلك بعض التوتر بسبب اعتراض الفنان ريكو على اجره بالفيلم والذي حدده المنتج وهو تسعون الف جنيه، وانتهت الازمة بمضاعفة اجر ريكو الى مئة وثمانين الف جنيه.

ومن مشاكل الفيلم في ثاني ايام التصوير اندلاع النيران في مساحة كبيرة من مكان التصوير على شاطئ البحر ما هدد العاملين ومعدات التصوير بالاحتراق.

علا غانم (القدس العربي)

اميرة فتحي (القدس العربي)

ايضا نشبت مشادة كلامية بين المنتج الذي قام بكتابة قصة الفيلم وشارك في جزء من السيناريو مع المخرج حامد سعيد الذي تولى كتابة السيناريو والحوار كاملا استنادا الى قصة المنتج، وسبب المشادة رفض المنتج التدخل في الجزء الذي كتبه من قبل المخرج.

ومن المشاكل التي أدت الى تدخل اكثر من شخص لحلها المشادة التي قامت بها الفنانة اميرة فتحي مع مصمم الملابس عمرو اصيلة بسبب ملابس الطالبة التي ترتديها في بعض مشاهد الفيلم وفوجئت بالمصمم يحضر لها «بلوزة» واسعة سبق استخدامها وجيب قصيرة جدا وكأنها في شخصية فتاة ليل وهو ما يتناقض مع طبيعة دورها تماما.

أدت المشكلة الى امتناع اميرة فتحي عن التصوير الا بعد تغيير الملابس التي احضرها لها المصمم وطالبت المنتج بعدم دفع قيمتها.

واتضح ان هناك خلافات قديمة بين اميرة فتحي ونفس المصمم منذ فيلم «اللبيس» الذي نشب بينهما مشاكل فيه رغم انه كان من انتاج زوجها.

يشارك في بطولة فيلم «الفرقة 16 اجرام» وحيد سيف وصلاح عبدالله وحجاج عبدالعظيم وعبدالله مشرف ولأول مرة ملكة جمال الجامعة الامريكية في لبنان ناتانيا.

تدور احداث الفيلم حول شابين يحضران من الريف بعد ان طاردهما شبح البطالة الى القاهرة للبحث عن وظيفة، لكنهما يصطدمان بعصابة يتزعمها مجنون يدخل مستشفى الامراض النفسية، وتسعى فتاة لتهريبه من العنبر حيث تمهد للاستيلاء على ثروته، ويتزامن ذلك مع وفاة عمها بعد ضياع امواله، بينما تستنجد ابنته الوحيدة بالشابين القرويين لانقاذها من رجل الاعمال الشرير الذي كان يعمل مديرا لاعمال والدها لكنه تظاهر بمشاركته له في اعماله في عملية نصب للاستيلاء على ممتلكاته، وتجسد ملكة الجمال اللبنانية دور سكرتيرة رجل الاعمال الشرير حيث تربطهما علاقة صداقة في ذات الوقت مع ابنة رجل الاعمال.

اخبار فنية

بعد غياب عدة سنوات:

حفلة غنائية للفنانة ريم بنا في حيفا

حيفا ـ من اسامة مصري:

لدعم صندوق منح الطلاب في جمعية الشباب العرب ـ بلدنا، تنظم «جمعية الشباب العرب ـ بلدنا» وبالتعاون مع المركز الفرنسي، حفلا فنيا خاصا، تحييّه الفنانة الملتزمة ريم بنا، بعد غياب عدة سنوات عن حيفا وجمهورها. يرافقها الفنان ليونيد إلكسيينكو.

وذلك يوم الأحد الموافق 2006/5/28، الساعة الثامنة مساءً، في قاعة «كريجر» في حيفا.

يشار الى أن الفنانة ريم بنا، كانت قد أصدرت مؤخراً، البوما جديدا باسم «مرايا الروح» وستقدم في هذا الحفل، مجموعة من اغاني الالبوم، إضافة إلى باقة من اغانيها المعروفة.

وعلمنا ايضاً، انه سيتم توزيع منح من قبل جمعية بلدنا على الطلاب الجامعيين.

امسية موسيقية ارمنية في مجمع ابوظبي الثقافي

ابوظبي ـ جمال المجايدة:

نظمت لجنة ابوظبي للموسيقى الكلاسيكية بالتعاون مع الجمعية الثقافية الارمنية امسية موسيقية الليلة الماضية على خشبة المسرح بالمجمع الثقافي احيتها فرقة (كادينس انسامبل) الموسيقية الارمنية. وحضر الامسية زكي نسيبة نائب رئيس هيئة ابوظبي للثقافة والتراث، الرئيس التنفيذي للجنة ابوظبي للموسيقى الكلاسيكية وعدد من السفراء العرب والاجانب واكثر من 800 شخص اكتظت بهم قاعة الظفرة في المجمع الثقافي، وقدمت الفرقة الخماسية على مدى ثلاث ساعات ألوانا موسيقية من الفولكلور الأرمني والحانا لأبرز الموسيقيين الأرمن.

فضائيات

في استحالة التشريح الأخلاقي للإستعمار الفرنسي؟

خميس الخياطي*

■ **من معجزات الرسوم الكاريكاتورية التي لا تزهر وتزدهر إلا ي مناخ حر وديمقراطي والغريب أن الكاريكاتور العربي بصفة عامة ذبل منذ حصول بلداننا على الإستقلال ـ أنها تختزل الآراء والمواقف من الحياة الدنيا وشؤونها في بعض الخطوط التي تقرأ حتى من الأميين. ولا غرابة في ذلك، فالرسوم الكاريكاتورية منذ ولادتها مع ميلاد القرن العشرين هي النقيض الحاد للتبعية وعدوة الرأي الواحد وشيطان الرافضين... وهذه إحدى ميزات الرسام الكاريكاتوري الجزائري «ديلام» بعد سليم مرابطين ـ المقيم مؤقتا بفرنسا جراء الحكم عليه بالسجن لمدة شهر لسبب «تطاوله على رئيس الجمهورية»، والمنشورة على أولى يومية «ليبرتي» (الحرية) الجزائرية الناطقة بالفرنسية والتي وشحها منذ فترة وزير الشؤون الدينية بفتوى وكأنه يكفرها سياسيا.**

يوم الإثنين 8 أيار (مايو) الفارط، نشرت ليبرتي رسما لديلام تحت جملة «8 ماي يفرق بين الفرنسيين والجزائريين». في خط مسترسل وضع لنا ديلام طبيبا فرنسيا (والإشارة لعلاج الرئيس بوتفليقة بفرنسا واضحة) يضع سماعة على ظهر مريض جزائري ويأمره «قل 33». فيجيب المرض «45». علاوة عن كون الرقم 33 يمكن الطبيب الفرنسي من معرفة حالة الجهاز التنفسي إلا أنه من جهة أخرى يمثل فرنسيا وأوروبيا نشوء حركات اليمين المتطرف. أما رقم 45، فهو جزائريا الإنتفاضة الأولى التي شهدتها مدينة سطيف يوم 8 أيار/مايو والتي ذهب ضحيتها المئات من الضحايا المسلمين تحت نيران «السيقان السود» (الفرنسيين الذين ولدوا بالجزائر واستوطنوها) وبمساعدة قوات الأمن. وكانت الشرارة الأولى التي ستشعل نار الثورة وأتى ذكرها عند كل من الرئيس السابق بن بلة والرئيس الراحل بومدين وغيرهما بإعتبارها.

أحداث 8 ايار/مايو

■ **يذكر المؤرخ الفرنسي «شارل أندري جوليان» في المجلد الثاني من مؤلفه المرجع «إفريقيا الشمالية تتحرك» (lafrique du nord en marche) وهو كتاب هام لمؤلف لا يمكن أن يتهم بالإنحياز لأية جهة حتى وإن بانت أكثر من مرة ميولاته اليسارية، يذكر ص 453 وما يتبع كيف جدت أحداث سطيف (ولاية قسنطينة) في العام 1945 والتي ستعتبر الشعلة الأولى نحو الإستقلال. خلاصة الأحداث أنه في ذكرى الإنتصار على الجيوش الألمانية، أمر والي سطيف الجزائريين المسلمين بالتظاهر صباحا معبرين عن فرحتهم بالإنتصار... إلا أن المظاهرة تضمنت شعارات غير معهودة من قبل مثل «لتحيا الجزائر مستقلة»، «يسقط الإستعمار»، «أطلقوا سراح مسالي (حاج، المسجون بريبال)» ورفع العلم الأخضر الجزائري ذو النجمة والهلال... حاولت الشرطة حجز اليافطات والأعلام وحينها سمع دوي طلقة رصاص تبين فيما بعد أن شرطيا فرنسيا أطلقها... ففر البعض من المتظاهرين. إلا أن البعض الآخر بقي وصارع الشرطة وقاومها وانطلق بين شوارع المدينة معبرا عن غضبه... ونتيجة الغضب ذاك قتل ما يقارب 98 فرنسيا من طرف الجزائريين المسلمين إضافة للعديد من المصابين. ويكتب «شارل أندري جوليان» أن أمين سر شعبة الحزب الشيوعي قطعت يداه بضربة فأس... وانتشرت عدوى التظاهر في الأرياف والقرى وسرى خبر مفاده أن حكومة عربية انتصبت في الجزائر العاصمة. وطبعا تم إتهام «جماعة البيان والحرية» بأنهم مصدر الشغب. والبيان هو ذاك الذي أصدره منذ شهرين تقريبا بمدينة سطيف فرحات عباس وثلة من علماء الجزائر وأتباع مسالي حاج رافضين الإستعمار، مطالبين بالإستقلال وبإنشاء جمهورية جزائرية متعاقدة مع فرنسا اللاإستعمارية... فكان رد فعل السلطات الفرنسية والسيقان السود وحشيا بأتم معنى الكلمة. فاستعملت الطائرات والمحاربين السينيغاليين وتم تمشيط كل الولاية. فكانت ضحية رد الفعل الجهنمي ما بين 6 و8 الاف ضحية من مسلمي الجزائر مقابل مئة فرنسي. (وهو نفس الأسلوب الذي تتخذه قوات الإحتلال الإستيطاني الصهيوني في فلسطين).**

الطلب والطرش

■ **لم تمح سطيف من ذاكرة الجزائريين مهما كانت منزلتهم ومستواهم الإجتماعي. ولا غرابة في أن يطالب الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة في شهر حزيران (يونيو) من العام 2000 في خطاب له أمام أعضاء البرلمان الفرنسي ويعيد الطلب كل مرة من أن على الفرنسيين طلب المغفرة رسميا من الشعب الجزائري. أخر طلب لبوتفليقة كان منذ شهرين في خطاب له بمدينة «قالمة» بمناسبة الذكرى الواحدة والستين لـ8 أيار (مايو). قال بوتفليقة بأنه «لا يريد صداقة كانيبالية (...) بدون تشريح أخلاقي للإستعمار» واستعمل تعابير مثل «جرائم ضد الإنسانية» و«المدافن الجماعية» و«أفران الجبر» و«العنف الإبادي»... لقد قالها: الإبادة.**

قال بوتفليقة في خطابه بقالمة: «مقابل قتل مئة أوروبي أغتيل عشرات الآلاف من الجزائريين ليس لأنهم يحاربون الإستعمار وبأيديهم السلاح لكن لأنهم كائنات إنسانية تطمح للعيش على إيقاع حريتهم كشعب مستقل، وهو التعريف الأصلي لما هي الإبادة»...

إلا أن الحكومة الشيراكية اليمينية الفرنسية لا تريد كسابقاتها وخاصة الإشتراكية ولا أحد يتجاهل الدور الذي لعبه الراحل «فرنسوا ميتران» بالجزائر ـ فتح باب جهنم عليها حتى وإن أرادت وتمنت عقد إتفاقية صداقة مع الشعب الجزائري في الأيام العجاف الإقتصادي وتفاقم البطالة إضافة إلى أهتزاز صورة الرئيس شيراك ورئيس وزراءه «دوفيلبان» لدى الرأي العام جراء قضية «كليرستريم»... ذلك أن الجزائر، أكثر من فيتنام أو ما كان يعبر عنه بالـ«هند الصينية»، تمثل قوة إقتصادية مستقبلية وعيون الأميركان منصبة عليه ولا غرابة في أن يذهب وزير الخارجية الجزائري في زيارات عدة لأمريكا وأن تتعامل الجزائر مع ملف الإرهاب بما يرضى مصالح الإدارة الأمريكية ويذهب الأمر إلى وجود مدربين عسكريين أمريكيين في الجزائر... وإن سخرت وسائل الإعلام ومنها الجزائرية ـ وبعض الساسة الفرنسيين من أن بوتفليقة يطالب بالإعتذار ويذهب للتداوي بالمستشفيات الفرنسية، فإن فرنسا الحالية لا تتصور نفسها تسقط من عليائها وتطلب الصفح على أمر تضن أنها براءة منه لأنه ماضي ومحض ماض لفرنسا الإستعمارية التي إنقرضت. غير أن شرخا ما بدأ يتصدع ويتمثل في التصريحات التي أداى بها الأمين الأول للحزب الإشتراكي الفرنسي «فرانسوا هولاند» في كتاب سيصدر بعنوان «واجبات الحقيقة» وحيث يكتب: «إذا كان علي أن أكون أكثر وضوحا في ما يخص 1956 والسلطات الخاصة، فأنا هنا بإسم الحزب الإشتراكي ايوم (أقول) نحن مسؤولين على الماضي والمستقبل، إن الـ SFIO فقدت روحها في حرب الجزائر ولها أغراضها في ذلك ولكن علينا أن نعتذر للشعب الجزائري وأن نعمل على ألا تتكرر مثل هذه الأمور».

هو مجرد تصدع قد تكون اسبابه داخلية فقط... والسياسة لا تقوم دائما على حسن النوايا.

صور «باستيل» من الجانب الآخر

■ **وكرجع لهذه الإلحاح وهذا الطرش، لم تصمت وسائل الإعلام الفرنسية. منها مؤخرا برنامج هام بثته على غير عادتها السادسة الفرنسية (هوتبورد، تردد 10911) مساء الثلاثاء الماضي وأعلنت عنه بالطبل والمزمار هي التي تخصص الطبل والمزمار للبرامج الإستهلاكية السيارة. عنوان البرنامج «1962/1830 حينما كانت الجزائر فرنسية» وقد أخرجه هذه السنة «سارج دي سامبينيي» وقرأ التعليق الممثل ـ النجم الفرنسي «برنار جيرودو». مجلة تلفزية الفرنسية ذائعة الإنتشار (Tele 7 jours) كتبت في عنوانها 1930 عوض 1830، وهو دال عن شيء ما في الذاكرة...**

يحاول هذا الفيلم، على طريقة سلسلة معروفة بعنوان «لقد صوروا الحرب بالألوان»، يحاول تقديم عرض لإستعمار إستيطاني دام قرنا ونصف القرن أي ما يعادل 578200 يوما إستعماريا. النية حسنة والمجهودات واضحة لأن عديد الصور تم البحث عنها حتى في الصين. فنحن نشاهد الإستعمار الإستيطاني الفرنسي من جانب واحد تقريبا وهو جانب الـ«سيقان السود». وحتى في هذا الجانب، يركز التعليق المساند للصور حتى أنه يفرغها من معناها، يركز على طيبة العيش وخاصية اللهجة الفرنسية في شمال إفريقيا وشعبية هذه الجموع الأوروبية من فرنسية إلى إيطالية إلى إسبانية، من مسيحيين ويهود التي أتت إلى أرض الجزائر وكلها رغبة في البناء والتشييد والإستثمار. اقتطعت كل واحدة قسما من الجسم واستثمرته وشيدت به مجتمعا فيه الأغنياء والفقراء... وكأن هذه الأرض لا أهل لها ولا أصحاب.

صحيح أنه من الصعب تشريح الأوديسة الإستعمارية في ساعة ونصف الساعة، ولكن هو إختيار وجبت المحاسبة عليه. فعوض فيلم واحد، لماذا لم تنتج القناة مجموعة من الأفلام؟ صحيح كذلك أن النية طيبة ولكن أن تضيع فرصة مثل هذه، فالنية لا فعل لها.

عبر صور ذاتية وعائلية للحفلات والمآتم والحياة اليومية لمجموعة من العائلات هي عائلات «منتري» و«فورزي» و«بن اللاس» و«الزنادي» و«بورق» و«روديت لو» و«كوسو» وأخيرا «بوبكر» يعرض الفيلم مراحل التآصل من جهة والإندماج من جهة أخرى لحين نشوء «فرنسا الضفة الجنوبية» بكل مقوماتها وكأننا بالفيلم يدافع عن السيقان السود (وهو ما يبينه التحقيق الذي بثته القناة إثر الفيلم مع فرنسي ولد بالجزائر وهجر منها وله من العمر 12 سنة وها هي إبنته تتزوج جزائريا وتقطن الجزائر)... ولولا المشاهد التي صورها صديقي المخرج الفرنسي (من مقاطعة بروتانيا) «روني فوتيي» صاحب «أن تكون لك 20 سنة بالأوراس»، لكان هذا البرنامج إعتمد حصريا على صور من الجانب الآخر: حياة المستعمر حتى وإن أقتنع بأنه إبن البلد... وإن لم يصل الفيلم إلى التشريح الذي طالب به الرئيس بوتفليقة، فعلى الأقل وضع أسس الذكرى لعلها تنفع الفرنسيين المتشبثين بالماضي الإستعماري...

■ **جملة مفيدة: «حينما يبدأ الخوف من الموت، يبدأ معه تذوق الحياة» من فيلم «ليون» للفرنسي لوك بيسون. 1994.**

*ناقد وإعلامي من تونس
khemaiskhayati@yahoo.fr

وارضيات